حول الصلاة على المنتقلين

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٦

www.coptology.org

حول الصلاة على المنتقلين

أكتب هذه السطور بحزنٍ ووجع أولاً على ما يحيط بالحادثة الأخيرة من حزن. وثانياً على تضييق دائرة التدبير، وأقصد بذلك الاستعمال الحقيقي للحرية حسب المحبة.

كان الوضع القديم السائد في القرون الخمسة الأولى هو أن المعمودية والميرون والزواج والجناز، هذه كلها لا يمكن فصلها عن الذبيحة الإلهية، والشاهد على هذا الوضع هو جناز القديس الأنبا باخوم أب الشركة، وهو أيضاً ما ورد في كتاب رئاسة الكهنوت للأريوباغي، أي إقامة الجناز والقداس معاً. وفي العصر الحديث قدم لنا دير الأنبا مقار تطبيقاً جديداً لذات الوضع، فهكذا دُفِنَ القمص متى المسكين شيخ الإسقيط، حيث رتَّل الرهبان التسبحة، ورفع البخور والجناز والقداس الإلهي.

لكن يبدو من الدراسة الدقيقة للعصر الوسيط، وبسبب الأوضاع السياسية، انفصال الجناز عن القداس الذي كان يقام خصيصاً من أجل الراقدين في الرب، تماماً كما انفصل تذكار الأربعين عن القداس واقتصر الأمر على صلاةٍ تقام خصيصاً وتوضع صورة الراحل أو الراحلة أثناء هذه الصلاة، وبذلك يكون قد حدث انفصال الجناز عن ذكر الراقدين في الذبيحة الإلهية التي تطلب الرحمة لكل الراقدين على رجاء القيامة والتي لا تعطى لمن أقدم على الانتحار.

دائرة التدبير

ما هي دائرة التدبير؟ العروسان اللذان ماتا بثياب العرس –على ما يبدو– ليسا من أبناء الكنيسة، وهم أيضاً أعضاء في الكنيسة الرسولية. هل يوجد مانع قانوني يمنع طلب الرحمة لهما؟ والجواب هو –حسب التدبير الكنسي– يمكن إقامة صلاة خاصة في مبنى الكنيسة بدون رفع بخور وبدون الطقس المعروف.

وهناك اقتراح آخر، هو أن يُسمَح للقس الرسولي بأن يقوم هو بالخدمة مع مشاركة حقيقية من القس الأرثوذكسي بالصلاة الخاصة؛ لأن إجابة طلب الرحمة لكل من ينتقل هو واجب المحبة.

لا يوجد قانون كنسي يمنع صلاة الجناز إلا على من صدر ضده حكمٌ بالرِّدة، أو كان ينتمي إلى الهرطقات والشيع التي حددها القانون الكنسي الذي لم يذكر -في هذا الصدد- لا الكاثوليك ولا البروتستانت، وتصنيف أيهما هو تصنيف مرفوض؛ لأن إنكار الثالوث وألوهية الرب يسوع والروح القدس والحياة الأبدية والقيامة، أي بنود قانون الإيمان، ليس ضمن الخلافات التي بين كنيستنا وكنائس الكاثوليك والبروتستانت، وبالتالي وبحسب ما صدر من تشريعات سابقة على عصر الإصلاح في القانون الكنسي بشعبتيه القبطي والبيزنطي، لا يخضع كل من الكاثوليك والبروتستانت للتحريم الذي توقف في الكنيسة البيزنطية عند القرن الخامس عشر.

وثمة موضوع آخر أهم من النظرة القانونية، وهو سيادة المحبة على القانون مهما كان، وأسبقية المحبة والمشاركة الإنسانية في مصاب قومٍ ضرب الحزنُ حياتهم هو واجب المحبة النابع من محبة ذاك الذي أقام ابنة أرملة نايين ورده إلى أمه لأنه "**تحنن**" عليها، وهو حنانٌ جاء من المحبة لا من شريعة موسى.

حكمة التدبير

لا يمكن لمن له تبصُّرٍ أن يتحدث عن أن العروسين قد أصبحا من البروتستات، وبالتالي لا يمكن الصلاة عليهما؛ لأن البروتستانتي الذي وُلِدَ ونال المعمودية وهو طفل في كنيسة مصر أُم الشهداء، لم يفقد مكانه في جسد المسيح الكنيسة رغم أنه ترك الكنيسة وانضم إلى كنيسةٍ أخرى لأسبابٍ يطول شرحها، ولكن يبقى السؤال: لماذا يطلب بعض هؤلاء جنازاً في الكنيسة الأم؟ سؤالٌ لم نسمع له رداً ولن نسمع له رداً بعد أن وقعت الفاجعة والمصاب. ولكن أليس ذلك تعبير عن الحنين إلى أُم الشهداء

الأم الرؤوم؟

أما الادعاء العام بأن البروتستانت لا يقبلون قانون الإيمان، فهو كذبة رخيصة؛ لأن إيمانهم بالثالوث، وبكل ما ورد في قانون الإيمان ظاهرٌ في التعليم والترتيل، ولا يجب أن نقدم ما يصدم الحزانى الذين فُجِعوا في مصابٍ شديد الوقع على كل نفسٍ إنسانية.

يقول القانون السابع من قوانين مجمع القسطنطينية ٣٨١م: "إن من يرتد من البدعة إلى الإيمان القويم وإلى حظ الذين خلصوا، نقبله حسب الطريقة أو العادة الآتي بيانها: إن الأريوسيين وأتباع مكدونيوس وأتباع نوفاتيان نقبلهم بعد أن يعطوا صكاً برفضهم ضلالتهم ولعنهم لكل بدعة لا تتفق مع تعليم كنيسة الله المقدسة الجامعة الرسولية، ومن ثم يُختَمون ويُمسَحون بالزيت المقدس على جباههم ... إلخ وعندما نثبِّتهم نقول: (ختم موهبة الروح القدس)" (مجموعة الشرع الكنسي للأب حنانيا كسَّاب، ص ٢٧٩ منشورات النور، لبنان).

من هذا يتضح أن الكنيسة لم تكن تعيد معمودية الأريوسيين والمكدونيين، واكتفت بالرشم بالميرون، وهذه حكمة التدبير لشفاء الانقسام. وهو الوضع السائد الآن في الكنائس البيزنطية التي امتدت وانتشرت في المهجر بسبب حكمة التدبير، بينما حاصرت القساوة أُم الشهداء بسبب تحجُّر قلب غير الدارسين للتدبير، وظن بعض الإكليروس أن القساوة هي الدواء لشفاء الانقسام.

نصف الحقيقة أن الإنجيليين ينكرون أسرار الكنيسة، ولكن التعليم السائد عن سبعة أسرار، هو تطور لاهوت الأسرار كما حدث في الغرب وقُنِنَ في مجمع ترنت في القرن السادس عشر للرد على حركة الإصلاح. وعن الأشقاء الكاثوليك نقلنا دون تمييز – هذا ليس اتهاماً، بل دعوة للمراجعة والعودة إلى الأصول الآبائية كما شُرِحَت في عظات كيرلس الأورشليمي وذهبي الفم، وكما استقرت في التسليم الليتورجي لأُم الشهداء الذي حَفِظَ اسم "السر" لخدمة غسل الأرجل، الأمر الذي لما أعاده الأب متى

المسكين إلى الوعي، نالته بسببه الشتائم.

أما النصف الثاني، فإنهم يؤمنون بالثالوث والتجسد والقيامة ....إلخ

ليست هذه دعوة لرفض ما جاء في العصر الوسيط، بل كانت دعوتنا دائماً إلى التبصُّر وانفتاح الوعي على التطور الذي حدث عبر العصور. أما الادعاء بأن صلوات الجناز تشمل كل ما في الكنيسة من تعليم، فهو ادعاءٌ عام وكاذب، يفقد مصداقيته أمام أي فحص دقيق، ولكن عندما تسود الفتاوى وتتغلب على التسليم، فلا رجاء في العودة إلى حكمة التدبير، ولا رجاء في استنارة القلب بالمحبة.

هكذا تبدو الصورة بعد قرار منع صلاة الجناز: نحن جماعة يقودها التعصب وتحتكم إلى الكراهية والرفض لا إلى المحبة، التي تصل إلى محبة الأعداء!!!

عندما هدَّدني الأنبا شنودة الثالث بأن الكنيسة (وكان يقصد نفسه) لن تصلي عليَّ عند موتي، قلت له: لقد حضرت الجناز العام الذي يقام في أحد الشعانين على الأقل ٣٠ مرة، وواحدة فقط من هذه المرات كافية. لقد صلَّت الكنيسة عليَّ صلاة الموتى في أسبوع آلام الرب أثناء شركتي في هذه الصلوات التي لا سلطان لأحدٍ عليها لأنها نعمة الرب. لذلك، فإن مجتمع العبيد، الذي يُقاد بالفتاوى، لا رجاء في تقدِّمه.

درسٌ من التاريخ الكنسي

على الرغم من أن القديس أثناسيوس لم يقبل معمودية الأريوسيين؛ "لأن الأريوسيين لا يعمدون باسم الآب والابن، ولكن باسم خالقٍ ومخلوق، وباسم خالقٍ وخليقته، ومن يغطس بواسطتهم يتدنس بعدم الإيمان ولا يُفتدى" (ضد أريوس ٢: ٤٢)، إلا أن القانون السابع من قوانين المجمع المسكوني الثاني -والذي أشرنا إليه بعاليه- أراد شفاء الانقسام حتى لا تنشأ كنيسة أريوسية تقاوم الكنيسة الأم.

هذا درسٌ علينا أن نستوعبه، والدرس الآخر تعلمنا إياه حكمة باسيليوس الكبير في الرسالة رقم ١٨٨ حيث قسَّم الخارجين عن الكنيسة الجامعة إلى:

١- منشقين Schismatics بسبب خلافات كنسية.

٢- هراطقة، وحدد هؤلاء بأنهم المانويون وأتباع شيع الغنوصية، وهم يرفضون الإيمان وأيضاً أتباع مونتانوس.

أما المنشقون، فهؤلاء لا تُعاد معموديتهم، بل يُمسحون بالميرون، وهو نفس اتجاه مجمع القسطنطينية المسكوني، بهدف القضاء على الانقسام.

في ضوء ذلك يمكن اعتبار من له ذات الإيمان بالثالوث، رغم أنه لم يصرح به، منشقٌّ، وبالتالي، ولأجل شفاء الجراح، يمكن اعتبار البروتستانتي مسيحي منشق؛ لأن إيمانه بالله وبالتجسد وبالروح القدس وبالأسفار المقدسة وبالقيامة وبالحياة الأبدية، لا شك فيه لأنه مُعلَن في ما يُنشر ويقال وما يصلون به، وبالتالي يجب أن نمكن له المحبة.

تدبير المحبة

لقد دفع قرار عدم الصلاة البعض إلى اعتبار الصلاة على المنتقلين بدعة، وأكثر ما أُحذِّر منه هو أن استمرار تعنت الإكليروس سوف يدفع إلى انفجارات متتالية داخل الكنيسة لا يعلم مداها إلا الله. لذا أرجو إعادة طبع كتاب أستاذنا الكبير سمعان سليدس: القول اليقين في الصلاة على المنتقلين؛ لأن اعتبار طلب الرحمة بدعة هو بمثابة تحالفٍ مع الشيطان؛ لأن القلب الذي يخلو من الرحمة هو قلبٌ لم يدخله نور ربنا يسوع المسيح.

لذا أرجو أن تقام خدمة جناز الأربعين، وهي تأبين الراقدين كما جرت العادة في القرن العشرين في الكنيسة التي رفض كاهنها الصلاة على العروسين المنتقلين،

كنوع من الاعتذار، حتى لا يظهر الوجه المتعصب القبيح الرافض القاسي، والذي يبني رفضه على ما يظن أنه صحيح الإيمان؛ لأن الإيمان والرجاء والمحبة هم معاً لا يمكن فصلهم، وإن كان رسول ربنا يسوع المسيح قد جعل المحبة أعظم، فهي لذلك تعلو على كل فتاوى العصر الوسيط، وعندما تعلو المحبة، عندئذٍ نكون في حكمة التدبير.

أنا أعرف أن هذه المساهمة قد تفتح عليَّ باب الشتائم التي يلقيها الذين خرجوا على الآداب المسيحية، بل والآداب المصرية، والحس والذوق الاجتماعي السليم، ولكن علينا أن نكون عبيداً لمن وضع ذاته لأجلنا، لا لمن لا يعرف المحبة ولا البذل ولا الغفران، بل يعوم في بركة القساوة والشماتة والرفض مع الشيطان نفسه.

غفر الله لنا جميعاً.

دكتور

جورج حبيب بباوي